

# مطرب الحب مات بالقلب المثوية الأولى على ولادة ملك العود وموسيقار الأزمان فريد الأطرش

وائل العديس

غنى فأبدع ولحن فأمتع فطربت له الملايين، بضربة إصبع على العود تتجمع كل الآمال، تتوحد لتنتصب إلى الضارب، تبدأ عملية العزف على عوده، كلمات قام هو بتلحينها، أذان مصغية، صوت عذب، يفتح فاه ليخرج صوته الذي كان ومازال يطرب العديد من المستمعين.

«الفن يقترض.. ولم يعوضنا الله بفنانين حقيقيين بعد زوالهم»، جملة تجسدت حروفها على مر الأزمنة المتعاقبة، بعدما قالها الفنان السوري فريد الأطرش في لقاء تلفزيوني مصور نادر عام ١٩٦٦.

اجتمعت فيه العديد من المواهب قلما اجتمعت لفنان آخر، فكان بارعا في التمثيل والغناء والعزف والتلحين، فاستحق عن جدارة لقب ملك العود وموسيقار الأزمان.

وقد صدق محمد عبد الوهاب حين قال عنه: «في كل هذه المجالس هناك الضحك والنكتة والسخرية والبهجة والسرور، ومع ذلك كنا نراه في أغانيه وخصوصاً الطويلة منها تغلب عليها سمة الحزن، وخصوصاً في طريقة إخراج صوته أو حتى في الجملة اللحنية، ولعل السبب في ذلك أنه كان يحتاج إلى الأسرة التي ينعم بها، وإلى الحيوية التي تنكرت له».

ولا يمكن أن تمر نكراه من دون وقفة تأمل في حياة هذا الموسيقار العبقري الذي استطاع أن يقف شامخاً على قمة الأغنية العربية حتى يومنا.

## إن الأدهاء في الغناء تجمع دائماً بين الطرب والألم معاً فلم تكف أهاته، إلا برحيله عن دنيانا



نجاحاً شعبياً يفوق الوصف، كما در عليه أرباحاً جيدة لا تقل عن الأرباح التي أتت إليه في جميع أفلامه السابقة، وقبيلت حمامة الدعوة إلى الخلفة، وكان فريد ليلتها شعلة من المرح والحيوية، وبلغ القمة في خفة الدم، فروي لدعويه أكثر من نكتة، واستلقت حمامة على ظهرها من شدة الضحك، عندما روى لها نكتة عن نفسه.

قال: إن أحد المعجبين كان يتصل به باستمرار، ويطلب إليه أن يكلمه، فتجيبه الشغالة: والله الأستاذ مش قادر يكلمك.. لأنه في الحمام، وعندما تكررت اتصالات المعجب، وفي كل مرة يتلقى الجواب نفسه، صرخ: هو الأستاذ وسخ للدرجة دي عشان يبقى في الحمام!

وعلى عكس النكتة، واعترف للساهرين بأنه عندما يدخل الحمام لا يغسل جسده بماء، بل بالسبيرتو فقط، وقال: وتفضلوا شوقوا أنا نضيف إزاي!

### توقف قلبه

توقف قلب فريد ثلاث مرات قبل وفاته، لكن الأطباء في الولايات المتحدة الأميركية ساعدوه مرة أخرى في العودة للنض، وفي عام ١٩٧٤ ضاع المصحف الذي كان دائماً يضعه في جيبه، وبعد أن بحث عنه في جميع أرجاء منزله وتأكد أنه قد ضاع، قابل الفنانة سامية جمال وقال لها: «أنا متشاك جداً لصدتي وحاسس إن هاموت عشان المصحف ضاع»، وبالفعل توفي فريد في ذات العام عن عمر ناهز الـ ٦٤ سنة.

### مقتضات

- أول أجر تقضاه الأطرش نحو ١٥٠ قرشاً نظير عشر دقائق من العزف على العود المنفرد في الإذاعة.
- كان من أكثر الفنانين حرصاً على إقامة احتفال كبير بعيد رأس السنة في منزله وكان يحضر الحفلة أكثر من مئة فنان وفنانة وشخصيات كبيرة.
- كان يخشى من رؤية الدراجات في الطريق.
- أكبر أجر تقضاه كان ١٢ ألف جنيه نظير قيامه ببطولة فيلم (شهر عسل) عام ١٩٤٥.
- أول من استخدم فن الأوبريت في السينما العربية وصاحب أول ديوتو.
- حائز جائزة أعظم عازف عود في العالم من تركيا عام ١٩٦٢م.
- أول من أدخل الموسيقى الطويلة متجسدة في أغنية «حبيب العمر» وأول من أدخل الألوان الغنائية الغربية كالموسيقى أو السامبا والفالس.
- الفنان العربي الوحيد المسجل في قائمة الفنانين الخالدين (الموسوعة الفرنسية الأنسكلوبيدي).
- الوحيد حتى الآن الذي حصل على أكثر من ٢٠ وساماً وقلادة من مختلف الدول العربية والعالمية منها ميدالية الخلود من فرنسا عام ١٩٦٥، ووسام الاستحقاق من الرئيس جمال عبد الناصر.
- أول من أدخل الآلات الموسيقية الغربية كالأورغ والفيغارا إلى الموسيقى العربية.
- عند خبر وفاته قطع التلفزيونين الإنكليزيين برامجه ليعلم خبر رحيله وقدم برنامجاً فوراً عنه لمدة نصف ساعة ضم حديثاً مصوراً معه وبعضاً من أعماله التي ارتقت إلى العالمية.



الخيل الخاصة به، وسيارته واقترض أموالاً من بعض أصدقائه.

ويعد هذا الفيلم من بين أفضل الأفلام التي قدمتها السينما المصرية وجاء في الترتيب السادس في قائمة أفضل عشرة أفلام في تاريخ هذه السينما، وذلك في الاستفتاء الذي أجرته مجلة «فنون» المصرية عام ١٩٨٤. وقد عرض الفيلم لأول مرة عام ١٩٥٩، واختير لتمثيل السينما المصرية في مهرجان «برلين» الدولي.

### نكتة الأطرش

في عام ١٩٧٠ كان الفنان السوري قد ضاق بالإقامة في الفنادق، وخصوصاً بعد أن قرر إطالة إقامته في بيروت، فأستاجر شقة كبيرة في عمارة أنيقة بمحلة «اللويزة»، التي لا تبعد عن قلب العاصمة أكثر من خمس دقائق بالسيارة، وقد زينها بالمفروشات والتحف الثمينة.

وفي هذه الشقة بالذات كان يقضي الراحل الأطرش، أطول أوقاته، ويقوم فيها كل حفلاته، وأحياناً كان يستغلها في تصوير المشاهد الداخلية في أفلامه، أو يجري فيها البروفات على أغانيه الجديدة.

الأطرش قال حينها لسيدة الشاشة العربية فاتن حمامة أنه سيكون في منتهى السعادة بأن يدشن شقته ويبدأ حياته الاجتماعية فيها بحفلة كبرى يقيمها على شرفها وخاصة أن وجهها كان خيراً عليه في فيلم «الحب الكبير»، الذي حقق

إلى أوروبا

عام ١٩٣٧، تلقى فريد عرضين من الإذاعة البريطانية لتسجيل بعض الأسطوانات في لندن، فكانت أول رحلة له إلى أوروبا، وعلم بعد ذلك أن التسجيل سيكون في أحد استوديوهات باريس، فذهب إلى العنوان، وعند دخوله وجد فرقة موسيقية كبيرة العدد، فألقى التحية عليهم إلا أنهم لم يعيروه اهتماماً، إلا بعد أن بدأت أنامله تعزف على أوتار عوده لتخرج أنغاماً بديعة أجبرت الجميع على الانصات والاستماع، وبعدها تقدم إليه المايسترو واعتذر لسلوكتهم معللاً أن مؤلفي الموسيقى شيوخ يكتسي شرعهم باللون الأبيض ولم يشاهد أبداً مؤلفاً موسيقياً في مثل سنك.

### دعاء الكروان

بعد تأسيس الفنان الراحل لشركة «أفلام فريد الأطرش»، قرر أن ينتج لنفسه عملاً فنياً مميزاً يكون فاتحة إنتاجه، فاتجه إلى عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، وطلب منه إنتاج تحفته «دعاء الكروان»، في فيلم سينمائي.

وقد استجاب لطلبه وسمح له بذلك بعدما وُثق في الاستعدادات الكبيرة التي سيتبلل لظهور قصته بالظهور اللائق بهذا العمل الفني الجديد، وأخذ الأطرش، يواصل العمل ليل نهار لاتحاد الوسائل المتعلقة بإنتاج عمل ضخم جدير بأول عمل سينمائي لأفلام فريد الأطرش.

ولكي يكون الفيلم بالشكل الذي يتماها، قام ببيع مزرعة

بفيلم «نغم في حياتي» مع ميرفت أمين.

كان بألحانه حافظ الصد والمدافع الأهم عن الموسيقى العربية، فقد أثرى المكتبة الموسيقية بأكثر من خمسمئة لحن وأغنية، تعاون خلالها مع كبار المطربين والمطربات، ومن أشهر الأغاني التي قدمها بصوته «زمان يا حب» و«فوق غصنك يا لمونة»، و«زي النهارده»، و«بقي عايز تنساني»، و«أول همسة»، و«يا قلبي كفاية تق»، و«يا سلام على حبي وحيك»، و«يا حبايبي يا حلويين»، و«يا جميل يا جميل»، و«يا أبو ضحكة جنان»، كما أبع في القصائد الغنائية ومن أشهرها، «لا وعينيك»، و«أضنيتني بالهجر».

كما قدم عدداً من أهم ألحانه لنجوم الطرب مثل أسهمان، وسعاد محمد، وصباح، ووردة الجزائرية، وفايزة أحمد، ومكرم فؤاد.

ورغم الشجن والحزن الذي لازمه لفترات طويلة في حياته، تميزت ألحانه بالمرح الشديد، وهو ما ظهر في ألحانه للشحرة صباح ومنها أغاني «يا دلع يا دلع»، و«حبيبة أمها»، و«أكلك منين يا بطعة»، و«زونية».

كان فريد الأطرش من فرط أشجائه وألمسه الحياتية التي مر بها منذ صغره يقول إن الآيات في الغناء تجمع دائماً بين الطرب والألم معاً، فلم تكف أهاته إلا برحيله عن دنيانا يوم ٢٦ كانون الأول عام ١٩٧٤ إثر أزمة قلبية شديدة، جعلت جمهوره الكبير في حيرة أشد، ولسان حالهم يقول «مطرب الحب.. مات بالقلب».

### إبداع ومعاناة

لم تكن مقولة «الإبداع يولد من رجح المعاناة» إلا تجسيداً حقيقياً ومعبراً عن حياته النشاقة التي عاشها منذ طفولته، تحمل خلالها الأمير الصغير الوائسا شتى من المعاناة والحرمان.

ولد فريد الأطرش في محافظة السويداء عام ١٩١٥، وهو الشقيق الأكبر للمطربة أمال الأطرش التي اشتهرت فنياً فيما بعد باسم أسهمان.

عانى حرماناً رؤية والده ومن اضطرابه إلى التنقل والسفر منذ طفولته، من سورية إلى القاهرة مع والدته هرباً من الفرنسيين المعتزمين اعتقاله واعتقال عائلته انتقاماً لوطنية والده فهد الأطرش.

اضطرت والدته الأميرة علياء المنذر للهروب ليستقر بهم جميعاً المخام في النهاية بغرفة صغيرة بحي الظاهر بالقاهرة، فالتحق بالقسم الجنائي بإحدى المدارس الأولية، ولكنه سرعان ما ترك دراسته تحت ضغط الظروف المعيشية، ليضطر للعمل في أكثر من مهنة متواضعة لمساعدة أسرته الصغيرة.

اتخذت الأم من صوتها الشجي الحنون وهوايتها بعزف العود وسيلة للترفيه عن نفسها وعن أولادها، فتأثر فريد بصوتها وعزفها، وحفظ عنها كل ما كانت تشدو به، وعندما شعرت الأم بموهبة ولدها قررت إلحاقه بمعهد الموسيقى عن طريق جارهم الموسيقار اللبناني فريد غصن الذي كان له أثر كبير في بدايات فريد الأطرش.

تتلذذ في معهد الموسيقى على أيدي الموسيقار رياض السنباطي، وفي تلك الأثناء التحق بالعمل في العديد من الفرق الموسيقية المتواضعة، حتى التحق بفرقة بديعة مصابني التي كانت بمثابة مدرسة فنية يتخرج منها كبار النجوم.

تقدم لأختبارات الإذاعة المصرية، ولكنه أصيب بنزلة برد شديدة، حالت دون نجاحه، ورغم الحزن الشديد، لم ييأس وتقدم للاختبارات مرة أخرى عن طريق صديقه مدحت عاصم مستشار الإذاعة الذي أعاد اختياره أمام اللجنة نفسها فادهمهم بأدائه وتعاقبت معه الإذاعة على العزف والغناء مرتين أسبوعياً.

كان فريد على موعد مع السعادة التي غابت عن حياته طويلاً، ليظهر صوته لأول مرة من خلال ميكروفون العزف الإذاعية بأغنية «يا ريتني طير» التي لحنها الموسيقار يحيى البليبيدي.

لقت موهبته أسماع نجوم الغناء في مصر والوطن العربي، وزادت شهرته كثيراً، فقرر صنع السينما استثمار نجاحاته من خلال قيامه ببطولة أول أفلامه «انتصار الشباب» عام ١٩٤١ م شقيقته أسهمان، وكان له حظ كبير من اسم الفيلم الذي كان يحق انتصاراً للشباب الذي عانى طويلاً حتى يظهر مواهبه للجمهور. توالى نجاحاته السينمائية فقدم للفن السابع ٣١ فيلماً مع أشهر نجوم الفن، ومن أهم تلك الأفلام، «أحلام الشباب»، و«شهر العسل»، و«جمال ودلال»، و«ما قدرش»، و«لحن الخلود»، و«الخروج من الجنة»، و«حكاية العمر»، و«الحب الكبير»، ليختتم مشواره السينمائي عام ١٩٧٥

## «الطريق إلى الشمس»... سموّ الفكرة وبحث عن الاستعراض

مستقلة، لكن المشكلة أن هذا الإقحام لم يكن مجدياً، أوريا كان من المفروض الاعتناء بالسياق التاريخي أكثر، حتى لا يظهر استخدام الرمز التاريخي بهذه الفجاجة.

بالمقابل جاء الاستخدام الرمزي لحكاية البطل يوسف العظمة، أكثر عمقا في التوظيف لكن يشوبه ضعف التنفيذ، عبر تصوير فرسان من خلال برج إيغل الذي يعتليه الجنرال غورو رمزاً مصريه الأفلو أمام عزيمة العظمة وجنوده، فبينما يغيب البرج عن خشية المسرح تبقى العظمة الشمس المشرقة التي يتطلع معد النص ومخرجه إلى أن تكون إحدى الشموس التي ستلهم السوريين إلى طريق خلاصهم.

كان لتقنيات الإخراج حضورها الجذاب، الذي أهر الجمهور في بعض المواقع ليصفقوا بحرارة للمعاني العميقة التي وصلتهم، ودغدغت أفكارهم التي يكاد كل السوريين يشتركون فيها أمام مصابهم بحرب أنهمكهم جميعاً، فعلى سبيل المثال شكل مشهد العرس -رغم ضعف الإضاءة- لوحة ساحرة، بما اختاره المخرج للعروس /زهرة/ من علو ومساحة كبيرة لللباس، الرامز للفرح الذي ينتظره أبناء الوطن ويتحلقون حوله بأمل، بينما يحاول العود أن يسرقه منهم، إذ ينتهي المشهد بتحليل للطيغان الذي يقصف المكان، فيسمو بعده الأبيض في أعالي المسرح ليبقى معلقاً بين السماء والأرض، كحبل أمل يستحيل بجيرة من نور

رصدت أحلام الشباب الضائعة فيما شكل إسقاطاً على الحالة الراهنة لكثير من شباب اليوم الذين ضيعت الحرب أحلامهم في الزواج والاستقرار. ينبغي القول هنا: إن موسيقا طاهر مامللي الساحرة خلقت عاملاً جذب مهماً، لتستطيع بدأ الأسماع على مساحة مدة العرض التي تجاوزت الساعة ونصف الساعة تقريباً، فتغطي بدورها أيضاً رقصات لم تكن متقنة الأداء بسبب غياب التنسيق الحركي بين الراقصين والراقصات، التي كان من الممكن أن تشكل رؤية بصرية جميلة لو أنها حققت التناغم بين الأجساد الجميلة التي من المفترض أنها عامل أساسي في عمل استعراضي، لكن الحق يقال إن تجربة السوريين في هذا النوع من الأعمال - المسرح الغنائي الاستعراضي- بسيطة جداً، وهو ما يجعل العمل مقبولاً إلى حد ما من هذه الناحية.

بالحديث عن الإطار التاريخي الذي حاول كل من معد النص المسرحي كفاخ الخوص والمخرج مدودح الأطرش رسم العرض ضمنه، فقد عانى بدوره من إشكالية الإقحام لروايات تاريخية بدأ أن العرض أراد الاتكاء عليها برمزييتها العظيمة في ذاكرة السوريين، حال المشهد الذي أطل فيه سلطان باشا الأطرش -أحد أهم رموز النضال السوري- يستلهم من والده عزيمة استمرار النضال حتى الحرية، وهو ما يحتاج للسوريون إليه اليوم لييضوا نحو الهدف ببناء بلادهم حرة

«ت: طارق السعدوني»

في عرض «الطريق إلى الشمس» الذي احتضنته دار الأوبرا على مدى ثلاثة أيام من الأسبوع الماضي لا نبالغ إن قلنا إن الصوت الملائكي لمطلة المسرحية مينا/ ثورا رحال/، وكلمات والأغاني التي أدتها بإحساس راق مفعم بالحبة والانتماء للوطن كانا الحامل الأساسي لعرض فكرته عادية أوريا أقل، ليتمكن من التغلطة على مواقع رديئة من العرض كادت تجعله عادياً جداً.

الهدف السامي للعرض الذي تجلّى في حث السوريين على أن يتخذوا من رموزهم النضالية على مر تاريخ بلدهم العريق قوة لهم ليكونوا طريقاً إلى الشمس، كان واضحاً منذ اللحظات الأولى التي سلط فيها الراوي «كفاخ الخوص» بصوته الرخيم وأدائه المنقن، الضوء عليه، وأتت فيما بعد بقية سرد الأحداث تخدم هذا الهدف لكن ليس بالقدر المتوقع، على الأقل قياساً بالحلمة الاعلانية التي سبقت العرض وروجت له.

الغنايات الغنائية تنوعت بين معبرة مترعة بالإحساس، كلماتها موحية عميقة -لكنها بقيت أقل قدرة على الجذب من الأغاني التي أدتها رحال- وبين عادية مقحمة بلا معنى، فيما بدا أنهم لم توظف بالشكل الأمثل، لكن العاشقين زهرة /ميس حرب/ وأسعد /حسين عطفة/ أبدعا بصوتهما الدافئ وإحساسهما العالي، ليجيكا قصة حب

